شرح قصيدة لا تصالح

إنّ قصيدة لا تصالح هي من القصائد الحديثة التي كتبها الشاعر أمل دنقل على قواعد الشعر العربي الحديث، وهي قصيدة مميزة، نعرض بعض مقاطعها فيما يأتي مع شرح هذه المقاطع:

لا تصالحْ!
ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقأ عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى..؟
هي أشياء لا تشترى:

يتحدث الشاعر أمل دنقل في هذه الأبيات عن قصة كليب بن ربيعة والزير سالم ويعكسها على الأحداث العربية الواقعية التي كانت تحصل في العالم العربي في ذلك الوقت، فيدعو العرب إلى عدم المصالحة، لأنّ الشرف والكرامة لا يعوضان أبدًا.

ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،
حسُّكما فجأةً بالرجولةِ،
هذا الحياء الذي يكبت الشوق حين تعانقُهُ،
الصمتُ مبتسمين لتأنيب أمكما وكأنكما
ما تزالان طفلين!
تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:
أنَّ سيفانِ سيفَكَ..
صوتانِ صوتَكَ
أنك إن متَّ:
للبيت ربٌّ
وللطفل أبْ
هل يصير دمي بين عينيك ماءً؟
أتنسى ردائي الملطَّخَ بالدماء..
تلبس فوق دمائي ثيابًا مطرَّزَةً بالقصب؟
إنها الحربُ!
قد تثقل القلبَ..
لكن خلفك عار العرب
لا تصالحْ..
ولا تتوخَّ الهرب!

يتحدث الشاعر في هذا المقطع عن الأشياء التي لا تُشترى؛ أي أنّ قيمتها أعظم من المال كله، وهي: ذكريات الطفولة، شعور الإنسان بالرجولة أي في عمر البلوغ، الصمت عند توبيخ الأم والحياء الذي يتربى عليه الطفل والطمأنينة العظيمة التي يعيشها الإنسان ويشعر بها في عائلته وبين أهله، ثم يتساءل الشاعر مستغربًا كيف يصير الدم ماءً بين العرب، فيقول: هل نسي العرب رداء إخوته الملطخ بالدماء التي سالت دفاعًا عن بعضهم بعضًا، ثم يقول: إن الرحب ثقيلة على قلوب الناس، ولكن عار العرب يوجب الحرب ويوجب عدم المصالحة ويوجب عدم الهرب.

لا تصالح على الدم حتى بدم
لا تصالح ولو قيل رأس برأسٍ
أكلُّ الرؤوس سواءٌ؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟!
أعيناه عينا أخيك؟!

وهل تتساوى يدٌ.. سيفها كان لك
بيدٍ سيفها أَثْكَلَك؟

يقول الشاعر أمل دنقل في هذا المقطع: لا تصالح على الدم، أي لا تبادل الرجال بالرجال، لأنّ الرجل من العدو ليس كفؤًا لرجل من رجالنا، فليست الرؤوس سواء، وليس قلب الغريب من الأعداء كقلب أخيك القريب منك، وليست عيني الغريب كعينيّ أخيك، ولا تتساوى اليد التي كانت تحمل سيفًا معك مع اليد التي كانت تحمل سيفًا ضدك.

سيقولون
جئناك كي تحقن الدم
جئناك كن يا أمير الحكم
سيقولون: ها نحن أبناء عم
قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك
واغرس السيفَ في جبهة الصحراء
إلى أن يجيب العدم
إنني كنت لك
فارسًا
وأخًا
وأبًا
ومَلِك!

ينبه الشاعر فيقول: إنّ الأعداء يجيئون ويقولون من باب الحيلة والخداع: إننا جئنا لكي نحقن الدم ونوقف القتال، ولكن هذا كذب واضح المعالم، فلا تصالح عليه أبدًا ولا تصدق هذه الأقوال الزائفة الكاذبة، ثم يقول الشاعر للمخاطب: إنني أنصحك فأنا كنت فارسًا وكنت أخًا وكنت أبًا، وقد خبرت كل هذه الأمور وأنا أعلم بها منك.

لا تصالح..
ولو حرمتك الرقاد
صرخاتُ الندامة
وتذكَّر
إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد
ولأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة
أن بنتَ أخيك "اليمامة"
زهرةٌ تتسربل في سنوات الصبا
بثياب الحداد
كنتُ، إن عدتُ:
تعدو على دَرَجِ القصر
تمسك ساقيَّ عند نزولي
فأرفعها وهي ضاحكةٌ
فوق ظهر الجواد
ها هي الآن صامتةٌ
حرمتها يدُ الغدر
من كلمات أبيها
ارتداءِ الثياب الجديدةِ

في هذا المقطع الشعري يتحدث الشاعر عن صورة قاسية تهز القلب وتكسر الفؤاد والقلب وهي صورة الشخص المقتول غدرًا وما هي الأشياء التي تحصل بعد قتله من يتم أطفاله وضياعه، وفي هذا المقطع يعود الشاعر لاستحضار قصة كليب والزير سالم وكلمات اليمامة ابنة كليب ومأساتها ومعاناتها مع اليتم.

لا تصالح
ولو ناشدتك القبيلة
باسم حزن "الجليلة"
أن تسوق الدهاءَ
وتُبدي لمن قصدوك القبول
سيقولون: ها أنت تطلب ثأرًا يطول
فخذ الآن ما تستطيع:
قليلًا من الحق في هذه السنوات القليلة
إنه ليس ثأرك وحدك
لكنه ثأر جيلٍ فجيل

في هذا المقطع من القصيدة يقول الشاعر: إياك يا أخي العربي أن تصالح ولو ناشدك الناس جميعًا ولو كانوا أهلك وأبناء قبيلتك وبلدك، ثم يستحضر الشاعر من جديد الجليلة امرأة كليب التي قُتل زوجها وكانت من أهل الشخص الذي قتل زوجها، ثم يعود الشاعر ويؤكد على عدم التنازل عن الحق وعدم الرضوخ لمطالبات الناس بالصلح، فالثأر لا يموت خاصة إذا كان ثأر جيل وراء جيل من أجيال العرب.